

بعثنة النظم الخليجية.. سرفاح الدموي والبدوي



مشروع إنهاء القوة العربية الذي بدأه الاميركان والصهاينة ومن معهم من الأعراب "الأشد كفرا ونفاقا" مع نهاية الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية في ايران في اواخر ثمانينات القرن الماضي.. كان من الطبيعي ان يلزمه مشروع ملء الفراغ.. لكن السؤال الاساس الذي كان مطروحا، هو: من يملأ فراغ القوة الذي يتركه ضعف الدول العربية الثلاث (العراق- سوريا- مصر)؟!.

بداية، الذين يتحدثون عن التقارب الاميركي - الايراني بعد الاتفاق النووي وان الولايات المتحدة سوف تعتمد على ايران في ضبط ايقاع سياستها في المنطقة، اما جاهلون بالحقيقة الاميركية والايرانية على السواء او من المطلبين الذين يكسبون اجر ما يقولون ويكتبون.. لان الخلاف بين ايران الجمهورية الاسلامية واميركا (الشيطان الاكبر) خلاف وجودي وماهوي وليس اختلافا سياسيا، لذلك يراهن كل منهما على تغيير منهجية الآخر.

أعود إلى الأصل البحث.. بعد سقوط صدام حسين وانشغال سوريا بازماتها والالهاء الذي يجري لمصر.. من يستطيع من منظور الاميركان والصهاينة ملء الفراغ في مواجهة القوة الايرانية الصاعدة؟.

كان هناك أكثر من سيناريو، لكن محور المقاومة الممتد من طهران حتى بيروت اسقطتها واحدة تلو الأخرى.. ولأن الأميركي يريد الرحيل من المنطقة هو الآن يجرب آخر أوراقه التي نأمل أن يسقطها محور المقاومة بأسرع ما يمكن، أما السيناريوهات الأميركية - الصهيونية، فهي:

1 - الكيان الصهيوني ومشروع الشرق الأوسط الجديد: شخصيا أميل - وفق الكثير من المعطيات إن مشاريع مثل الفوضى الخلاقة والشرق الأوسط الجديد واسقاط بعض الأنظمة - قديم وإن تعددت سيناريوهات بسبب الظروف والعوائق التي واجهتها، فقد كان مؤملا أن توسع دائرة كامب ديفيد الخيانية لتشمل جميع الدول العربية وليتمدد الصهاينة في كل المنطقة مقابل إعادة بعض المناطق المحتلة في فلسطين ومصر ولو شكليا.. هذا المشروع أجهض بسبب قيام الجمهورية الإسلامية والمقاومة في كل من فلسطين ولبنان بمباركة سوريا.

ولذلك يتم تفتيت قوى المنطقة حاليا وإزالة العوائق التي تقف بوجه المشروع لارجاءه من الشباك (الخليجي) بعد أن أخرجته المقاومة من الباب.

2 - خلق قوة عربية يمكنها التعويض عن غياب القوة الأميركية المباشرة ومواجهة القوة الإيرانية الصاعدة، وفي هذا المجال لم يكن أمام الغرب خيارات كثيرة رغم تعدد الأسماء.. فالعراق ومصر بسبب نسيجهما السكاني وتاريخها الديني والروحي لا يمكن أن يشكلا خيارا للاميركي.. نعم قد يجري استغلالهما لفترة معينة لكن من الصعب على الأميركي أن يستثمر فيهما، لأن العراق سيشكل تهديدا لمحميات الغرب الخليجية (كما حصل في غزو صدام للكويت) ومصر تبقى تهديدا كامنا للكيان العبري، يظهر مع أي تغيير في النظام السياسي.

لربما كان الخيار سوريا بسبب نسيجها السكاني، لكن سوريا الأسد رفضت الانخراط في هذا المشروع، بالعكس تحولت من خلال محور المقاومة إلى واحدة من الحلقات الرئيسية في مواجهته.. وعلى هذا الأساس يجري الانتقام منها.

ولما كان الأردن، الحليف القديم للمستعمر البريطاني وخط الدفاع الأول عن شرق الكيان الغاصب للقدس، أضعف من أن يقود العرب، تم اللجوء إلى أكبر الحلفاء التقليديين المرتبطين حتى النخاع بالمشروع الأميركي - الصهيوني.. أي السعودية وشقيقاتها الخليجيات.

لكن مشكلة السعودية هي أنها لا تمتلك مقومات القيادة إلا من خلال عاملين، وهما: الأيديولوجيا والمال، فقد جرى تهيئة الأسباب لفتنة طائفية تجعل من آل سعود الغارقين في تبعيتهم للاميركي حماة العالم الإسلامي "السني" في وجه الروافض الممجوس (الإيرانيين والعراقيين والسوريين واللبنانيين واليمنيين.. ولربما لاحقا الغزاويين والمصريين والجزائريين!).. كما جرى تهيئة الظروف لوضعها في مقدمة المنتجين النفطيين وتحكمها فيه بدعم غربي.

وبما ان كل ذلك لا يعطي للسعودية القوة اللازمة في مواجهة الجمهورية الاسلامية ومحور المقاومة ومن اجل تنفيذ المشروع الاميركي - الصهيوني كان لا بد من:

1- إضعاف ايران ومحاصرتها وهو ما حصل في العقوبات الذكية والحظر المالي والاقتصادي والتقني ضد إيران بذريعة برنامجها النووي، لكن هذا ايضا فشل وخرجت ايران قوية تخيف مرتزقة اميركا وأذنا بها اكثر.

2 - خلق كتلة في مواجهة محور المقاومة او بالاحرى كتلتين متناسقتين، احدهما باسم العرب وتجمع كل عملاء امريكا واذنا بها اضافة الى الجائعين والباحثين عن فتاة المائدة السعودية والخليجية.. والثانية باسم المسلمين لا تختلف عن الاولى..

لكن وجود دول محورية في العالم الاسلامية لها حساباتها الخاصة جعل المشروع الثاني وهو الاخطر يفشل منذ البداية.. اما التحالف العربي فهو حبر على ورق ولا يمثل وزنا لا في السياسة ولا في العسكر، يكفي أنه فشل في مواجهة أبطال اليمن رغم ضعف إمكاناتهم العسكرية والاقتصادية.

ومما أفشل هذا المشروع حتى الآن، هو الجهود الدبلوماسية الإيرانية الجبارة التي أسقطت العديد من المشاريع الدعائية والسياسية ضد محور المقاومة.. وأيضاً عدم إنخراط دول لها مكانتها في العالمين العربي والإسلامي في هذه المشاريع وفي مقدمتها عربياً الجزائر.

3- التحول داخل الهيكلية السعودية والخليجية، واضح من كلام سيدهم باراك أوباما أن التحديات الداخلية التي يواجهها أذنا ب اميركا هي أكبر خطر يتهدد وجود وكيان هذه الأنظمة.. رغم كل سياسات التخدير التي تعتمدها في مواجهة شعوبها ومواطنيها.. وقد ظهر لكل المراقبين هشاشة الوضع الداخلي في هذه الانظمة في اكثر من أزمة سياسية وامنية واقتصادية.. لذلك تسعى الدوائر الغربية إلى ترتيب أوضاعها وانقاذها من خلال:

أولاً: الاتيان بقيادات شابة تعوض الغياب الديمقراطي والطبقية السياسية والاجتماعية التي تعيشها هذه البلدان.

ثانياً: ايجاد تحول في اقتصادياتها الريعية المتخلفة التي تهتز في أبسط أزمة تواجهها اقتصادياً وسياسياً، وتنويع مصادر دخلها من خلال ايجاد بعض الصناعات فيها، على غرار ما قامت به الإمارات العربية المتحدة، رغم صعوبة ذلك بالنسبة للسعوديين الذين لا يمكنهم استيراد العمالة بالحجم الذي تستورده الامارات، وصعوبة ضبط الاوضاع حينها، وعلى هذا الاساس جاء مشروع (2030) الذي يؤكد كثيرون ان السعودية عاجزة عن تطبيقه، وأنه مجرد أضغاث أحلام راودت محمد بن سلمان وفريقه!.

لان هذا المشروع الذي يقوم على تدوير رؤوس الامول وتنويع مصادر الدخل من خلال نهضة صناعية وخدمية يفتقد لارضية تنمية بشرية وثقافة انتاجية ويواجه افكارا لا تستطيع السلة التخلي عنها والانفكاك مع المؤسسة الدينية.. وتغيير ذلك يحتاج الى اجيال.

ثالثا: تجميع الكوادر المناوئة لمحور المقاومة في هذه البلدان والاستفادة منها في المجالات الاعلامية والامنية والعسكرية وايضا التنمية. لذلك تم استيعاب اعداد كبيرة ن البعثيين الصداميين في العراق والمنشقين عن الحكومة السورية، والمعارضين المصريين وخاصة الاخوان والسلفيين الذين توزعوا حسب حاجة البلد الخليجي (والاردن).. وهؤلاء أغلبهم عناصر أمن ومخابرات ودبلوماسيين وبينهم تجار واعلاميين واطباء ومهندسين وغيرهم..

ولأن الفكر السلفي وحتى الاخوان المعتدل لا يشكل اضافة في البلدان الخليجية التي تعتبر مصدر ومنبت الفكر السلفي الوهابي التكفيري، كما انها على ارتباط بالاخوانيين منذ عداؤها للنظام الاشتراكي العروبي الناصري في مصر.. إلا أن دخول أعداد كبيرة من البعثيين الصداميين الى اجهزتها خلق حالة غريبة من الهجومية لم تكن السياسات الخليجية معتادة عليها، هذه الهجومية تجدها اليوم حتى في مفردات مسؤوليها الذين أصبح بعض "فتيانهم" يتحدثون بنكهة المعدومين، "عدي وقصي".

وهذا الاستكلاب الخليجي مرغوب أميركيا رغم خطورته على هذه الانظمة، فكما جعل النظام العراقي البائد (إذا أحسنا الظن به!) يعود الى بيت الطاعة الاميركي الصهيوني بمجرد فشل عدوانه على إيران، بعد أن أصمّت شعاراته ضد الرجعية والصهيونية والامبريالية الاميركية الأسماع وتحول الى آلة تحركه المعلومات الاستخباراتية الاميركية والمستشارين العسكريين لنظام كامب ديفيد واموال المساعدات السعودية والكويتية... سيجعلها اي فشل ترتمي بحض الصهاينة دون وجل او وجل وعلانية، كما حصل للنظام السعودي بعد فشله في "عاصفة الفشل" وفي محاولاته المستميتة بإسقاط النظام في سوريا.

إن حالة الاستكلاب الخليجي التي نشهدها اليوم هي نتاج هذا السفاح بين الفكرين الدموي والمنافق والانتهازي البعثي والتكفير والتحجر والبداءة الخليجية.. لكن وبعبارة واحدة، لو كانت الحالة البعثية نافعة لحمت صدام حسين من السقوط، فهل ستحمي عروش آل سعود وآل نهيان وآل ثاني؟!.